ان يقال ان هذه الاشياء انما حدثت بسبب اختلاف الفصول الاربعة وتأثيرات الشمس والقمر و
النجوم فما لم يتم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون الاستدلال باحوال النبات وافيا باثبات
هذا المطلوب فلها للشكوك والترتيب بل يكون الاحتياج الى التفكر والتأمل باقيا
فلهذا السبب ختم الاستدلال باحوال النبات بقوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
وختم الاستدلال باختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم لما خلقهن له
بقوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون تنبيها على ان هذا الدليل واف لافادة هذا المطلوب
لمن له عقل سليم ولا يحتاج الى مزيد التفكر والتأمل فان من تعقل ان اختلاف الفصول والاوضاع
الفلكية والكوكبية لا يستند الى افلاك واوضاع اخر ضرورة بطلان التسلسل يقطع بان
جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتداء وانتهاء وجمع لفظ الاية للدلالة على
اختلاف انواع الدلالة قوله وجمع مصدر ميمي عطف على قوله حال من الجميع فيكون
مسخرات مفعولا مطلقا على ان يكون مسخر بمعنى التسخير لان المصدر الميمي من المزيدات
يكون على وزن اسم المفعول من ذلك الباب ويجوز ان يجمع المصدر للدلالة على اختلاف
الانواع والمعنى انه سخرها انواعا من التسخير على اسلوب قولك ضربته ضربات قوله
ورفع ابن عامر فانه قرا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع في الاربعة وقرأ
الباقون بنصب الجميع وكسر تاء مسخرات فان قيل التسخير انما يتعلق بمن له حيوة وقدرة يصح
منه الانقياد والمخالفة حتى يسخر ويقهر فكيف يصح ان يتعلق التسخير بما هو من قبيل الاجرام
كالليل والنهار وما من قبيل الجمادات كباقي المذكورات فالجواب ان تسخير هذه الاشياء
عبارة عن انه تعالى خلق هذه الاشياء ودبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع
والمخالفة من قبلها فهن مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء او هو عبارة
عن انه تعالى جعل فيها منافع للخلق تصل اليهم تلك المنافع شاءوا او ابين ولم يجعل لهن
ما يمتنع على الخلق استيفاء تلك المنافع منهن بسببه فهن مسخرات لما خلقهن له
بايجاده وتقديره وعلى الوجهين فالمراد بالامر التكوين والتقدير لا امر التكليف والحاصل
انه تعالى لما كون هذه الاشياء على وجه ملائم لمصالح العباد فتكونت على وفق
ارادته صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع فاطلق على هذا التكوين
والتدبير لفظ التسخير على طريق التخييل فصيغ المشتقات التي هي استعارات
تبعية كانت قرينة للاستعارة المكنية قوله يذكرون ان اختلافها ليس الا بصنع صانع حكيم
الى انه تعالى ختم الاستدلال باختلاف اصناف ما ذرأ لقوم يذكرون بناء على ان خلاصة هذا

الدليل راجعة الى ما ذكر في الاستدلال باحوال النبات من ان الحبة الواقعة في
الارض ينشق اسفلها فيخرج منه عروق الشجر وينشق اعلاها فيخرج منه ساقها
ثم تنمو ويخرج من الاوراق والازهار والاكمام والثمار ما يدل على ان ذلك لا
بفعل فاعل مختار فكون الاستدلال باختلاف الالوان هاهنا مبنيا على تذكر محصول ما
ذكر في الاستدلال باحوال النبات فلذلك قال ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
ثم انه تعالى لما احتج على اثبات الصانع بالاجرام العلوية والسفلية من السموات
وخلقه نوع الانسان وانواع الحيوانات والنباتات شرع الان في الاستدلال
بعجائب انواع العناصر فبدأ منها بعنصر الماء واعلم ان علماء الهيئة قالوا ثلثة
ارباع كرة الارض غائصة في الماء الذي هو البحر المحيط وهو كله عنصر الماء
وحصل في هذا الربع المسكون سبعة من البحار كما قال تعالى والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر والبحار التي سخرها الله سبحانه للناس هي هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى
اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالغوص لاستخراج
ما فيها من اللؤلؤ والمرجان واصطياد ما فيها من اللحوم الطرية ونحو ذلك
والماء الزعاق هو المالح الاجاج اي المر قوله وتمسك به مالك حيث قال كيف لا يحنث
باكل السمك مع انه تعالى نص على كونه لحما في هذه الاية وليس فوق بيان الله بيان روي
ان ابا حنيفة لما قال لحم السمك لا يحنث وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه
بهذه الاية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله عن رجل حلف لا يصلي على البساط فصلى
على الارض فهل يحنث ام لا قال سفيان لا يحنث فقال السائل اليس الله تعالى
قال والله جعل لكم الارض بساطا قالوا خوف سفيان ان ذلك كان بتلقين ابي حنيفة
قوله تشقه بحيزومها وسط صدرها قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها
وعن الفراء ان المخر صوت جري الفلك ومنه قوله تعالى لتاكلوا منه كما يجوز ان يتعلق بقوله
لتاكلوا ان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا من النكرة بعده وكذلك منه في قوله تعالى
وتستخرجون منه حلية يحتمل الوجهين المذكورين والحلية اسم لما يتحلى به وقوله وترى
الفلك جملة معترضة بين المتعاطفين وهما قوله لتاكلوا منه مع ما عطف عليه وقوله و
ولتبتغوا وانما قلنا انها معترضة لانه خطاب للواحد وما بين الجمع قوله
بركوبها للتجارة اضافة الركوب الى ضمير الفلك يشعر ان يكون قوله ولتبتغوا معطوفا
على علة محذوفة وان يكون تقدير الكلام لتنتفعوا بكونها مواخر فيه ولتبتغوا الربح

Copyright © King Saud University